أجل... ولكن!...

أخيراً، دخلت المرأة اللبنانية فجأة حلبة السياسات الحكومية ومن الباب العريض، وها ان حسناوات من مجتمعنا يتحرّكنَ بكيانهنّ المادي والمعنوي فيثبتن ان حضورهن لا بد من أن يرطّب الأجواء فلديهن طبيعة منحتهنها القدرة الإلهية أولاً.

هل هنّ مستقلات في مجتمع ذكوري ممسوك أكثر منه متماسكاً، وتسووي أكثر منه تنفيذياً؟ من شأنهن أن يجادلن ويناقشن ويعطين آراء سديدة في مجالات لا بأس بها. وفي هذا ما فيه من نقلة نوعية من حيث المبدأ.

كُتب عليهن تسنّم مراكز هامة دعماً لكيانهنّ كنساء قادرات على مجابهة عاتيات الدهر وقسوة الحياة. فلماذا لا يزال مجتمعنا ينظر الى المرأة كامرأة غير قادرة على رعاية نفسها؟ أليس في وسع هذه الإنسانة الواثقة الخطوة التي تمشي مليكة مكللة بتاج العزّة والعنفوان أن ترعى نفسها وتحافظ على كيانها؟

أسئلة من جملة الأسئلة التي تراودني في استمرار عندما تسقط في أذني بعض الكلمات من أناس لا يزالون يعيشون في العصر الحجري بعقولهم وتفكيرهم الذي يقول: «يجب أن يكون الى جانب المرأة رجل يحميها ويرعاها».

وزيراتنا تركن وَزْراتهن في مطابخهنّ المنزلية ودخلنَ مجالات العمل العام تماماً كما أجدنَ رعاية أسرهنّ، ولجن مطبخ سياساتنا المحرّكة أكثر منها متحرّكة. بتنَ يحافظنَ تماماً على أنفسهنّ ويرعينَ كيانهنّ مستقلات استقلالاً تاماً عن رجالهنّ!

نساؤنا المسؤولات راقيات بأفكارهنّ، ممتعات بأحاديثهنّ، رائعات باناقتهن، جميلات بابتسامتهنّ.

أتمنّى أن يسهمن في وضع شيء من قلوبهنّ النابضة في عقولِ الرجالات الحاكمين هنا وهناك وهنالك! وهذا ليس مستحيلاً نظراً الى ان اثني عشرة وزيراً يحملون الجنسية الأميركية، مما تترتب عنه حماية اقليمية ودولية في الوقت عينه!

قبل توافد وباء الكورونا الى بلادنا المأزومة أساساً، شاركت وحدي في ثلاثة مؤتمرات دولية على مستوى رؤساء العالم حول السلام وحقوق الإنسان تباعاً في امستردام ونيويورك وسيول في غياب أي حضور رسمي لبناني.

أمام هذه الكارثة الوطنية الحقة سألت بعض المقرّبين الثقات: «ألا يليق بشعبنا البائس أن يعتزّ بمفكريه وأدبائه وسمو منزلتهم (الحقيقية!) وجلال أثرهم (ولو بعد حين!) وأن يصيح بملء أفواهه فخوراً قائلاً: «ما تفسده السياسة يصلحه الأدب»؟

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه